الصُّورة الزَّمنيَّة في الحديث النَّبوي الشَّريف
حديث "الشَّفاعة" أنموذجا

The Temporal Image in the Noble Prophet's Hadith
The Hadith of "Intercession" as an Example

د. تيسير بنت عبَّاس بن محمَّد الشَّريف
أستاذ البلاغة والنقد المشارك بجامعة الملك عبدالعزيز-جدة

المستَخْلَص

لم تزل الدِّراسات البلاغيَّة والإنسانيَّة تنهل من فيض معين كلام أفصح الخلق وسيّد المرسلين ﷺ لبلوغه ذروة الفصاحة والبلاغة ولا يضاهيه قول بشر؛ فقد أُوتي ﷺ جوامع الكلِم؛ فكانت العنايةُ باستكشاف أسرار جماليات الخطاب النبويّ واستطيابًا لتأثيره.

وقد اختص المولى ﷻ نبيه الكريم ﷺ بأمور عدّة منها الشَّفاعة العُظمى؛ ومن هنا اختير حديث الشفاعة ذو التَّكثيف الدّلاليّ ترغيبًا وترهيبًا مدوّنة لذي الدراسة، واختيرت "الزَّمنيَّة" أداةً للتطبيق قاصدةً سبر أغوار بلاغة الصُّورة الزَّمنيَّة والأنساق الزمنيَّة في كيانها، ومتطلعةً إلى الكشف عن علاقة الزَّمنيَّة بتوليد الأبعاد الدِّلاليَّة المختلفة للنَّص من خلال السِّياق، وإبراز تأثيرها في نفسيَّة المتلقي، وتوضيح أنَّ إدراكَ دلالات الالتفاتات الزَّمنيَّة البلاغيَّة هو إدراكٌ ذهنيٌّ ضمنيّ غير حادث حاليًّا على أرض الواقع، عبر دراسةٍ وصفيَّةٍ تحليليَّةٍ لسلسلةٍ من استكناه المعنى ومعنى المعنى والمعنى الثالث والكلي للصورة ارتكازًا على دراسة نصّ حديث الشَّفاعة كما ورد في صحيح مسلم. ومما توصلت إليه الدّراسة أنَّ تطبيق "الزَّمنيَّة" أضفى على الخطاب تحوّلاتٍ زمنيَّة عديدة مصحوبة بالتفاتات دلاليَّة جمَّة، ومشيرة إلى دلالاتٍ أكثر عمقًا من معنى المعنى، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وأنَّ الصورة الزمنيَّة الكليَّة هي نِتاج دمج صيغ الأفعال بدلالاتها في البنية السّياقية، وحروف العطف، والأدوات الأخرى والفكرة الكليَّة للنَّص.

الكلمات المفتاحيَّة: الزَّمنية- الصورة الزمنية- معنى المعنى- الالتفات.

ABSTRACT

Rhetorical and humanitarian studies continue to draw from an abundance source of the words of the most eloquent of creation and the Master of Messengers (may God bless him and grant him peace) because he has reached the pinnacle of eloquence and is unmatched by the words of any human being, He (peace and blessing of God be upon him) was gifted all the meanings of words, so the care was to explore the secrets of the aesthetics of the Prophet's speech and comprehend its influence.

The Lord (Glory be to him) singled out His Noble Prophet (may God bless him and grant him peace) with several matters, including the greatest intercession. Hence, the hadith of intercession, which has condensed connotations, was chosen to encourage and intimidate a record for the subject of the study, and the "Temporality" was chosen as a tool for application, aiming to explore the depths of the rhetoric of the temporal image and the temporal patterns, in its entity, and looking forward to revealing the relationship of temporarily to the generation of the various semantic dimensions of the text through context, highlighting its impact on the psychology of the recipient, and clarifying that understanding the significance of rhetorical temporal gestures is a mental perception. Implicit and not currently happening on the ground, through a descriptive and analytical study of a series of hidden meanings, the meaning of the meaning, and the third and overall meaning of the image, based on studying the text of the Hadith of Intercession and stated in Sahih Muslim. Among the findings of the study is that the application of "temporality" brought to the discourse many temporal transformations accompanied by many semantic twists, pointing to connotations deeper that the meaning of the meaning, and the emergence of speech contrary to what is apparent, and that the overall temporal picture is the result of integrating the forms of verbs with their connotations in the contextual structure, conjunctions, other devices, and the overall idea of the text.

Keywords: Temporality – Temporal Image – Meaning of Meaning – Attention.

مُقـــدّمـــــة

لما كان من شأن الدّراسات البلاغيَّة فيما مضى استنادها إلى قوانين ثابتة ومحددة لا تتغير، فقدت جزءاً جوهريًّا نفيسًا في نتاجها المترع بالأبعاد الدلاليَّة المستبطنة، والأسرار الجمالية المرتهنة بحلّ إطار تقييد الفكر وجموده في البلاغة، وانغلاقها على ذاتها، وتقوقعها في اتجاه واحد من اتجاهاتها الحيَّة المتجددة، والنَّظرة الشُّموليَّة لها.

وانثالت الدراسات البلاغيَّة تعقبها الأسلوبيَّة والتداوليَّة وغيرها مبتغية التَّوسّع في النَّهج البلاغي وتحليله، ولكن لم تقرب تلك الدراسات مما يُسمَّى بـ "الزَّمنيَّة" في البلاغة.

فالزَّمنيَّة هي: "قيمةٌ زمنيَّةٌ كونيَّة، تتمثل في دالّ لغوي، لها دلالة مطلقة في الوجود، ودلالة مقيدة في السياق ".[1] وهي تحلل وظائف الدَّوال الزَّمنية النَّحوية في السِّياق لتِبيان مواطن الجمال وخدمة مرامي المبدع، ويتحد مفهوم الزمنية مع البعد النحوي لإجلاء قيمتها[2] خلال دراسةٍ وصفيَّةٍ تحليليَّةٍ للحديث الشريف.

1سراب صالح الصبيح، دلالات النَّسق الزَّمني في البلاغة (الزَّمنية) " ذاتية المتنبي أنموذجا"، (د.ط)، (جدة: دار مستقبل الكتاب للنشر والتوزيع، 1444هـ)، ص7. وهي باحثة في مجال الأدب والبلاغة العربية، ساعية إلى دراسة الدلالات البلاغية للزمن في الخطاب وتأسيس علم الزَّمنية، بتتبّعه في التراث العربي كإشارات متفرقة عند القزويني وأبي عبيدة وابن المعتز والعسكري وغيرهم، في مباحث كالالتفات والتقديم والتأخير ومعاني حروف العطف. وداعية إلى تدشين مقرر جديد في مرحلة الدراسات العليا يعنى بتأويل الخطابات، ممكن أن يطلق عليه "بلاغات التأويل" أو "بلاغات الخطابات" ومن ضمن مفرداته "الزمنية"، ولا تقتصر على علوم البلاغة الثلاثة بالتنظير والاستشهاد، ومكانه يكون بعد علوم البلاغة الثلاثة. ينظر: سراب الصبيح، دلالات النَّسق الزَّمني في البلاغة (الزَّمنية)، ص12، 29؛ سراب الصبيح، "(الزمنية) جنس بلاغي جديد.. دعوة إلى تدشينه في الجامعات"، الجزيرة، 6-1- 2023م، https://www.al-jazirah.com/2023/20230106/cm21.htm، شوهد في 1 مارس 2024م).

2 يُنظر: سراب الصبيح، دلالات النَّسق الزَّمني في البلاغة (الزَّمنية)، ص8. وقد قسمت الباحثة الدّوال اللغوية الزمنية الحاملة قيما زمنية واقعية خاصة إلى:

الزمن الفائت يقابله الفعل الماضي، زمن الآن يقابله الفعل المضارع، الزمن المستمر يقابله اسم الفاعل- اسم المفعول- الصفة المشبهة، الزمن الآتي يقابله التسويف- فعل الأمر، الزمن الظرفي يقابله ظروف الزمان. وتتكون الزمنية من دلالتين: الزمن الجزئي: هو الزمن الواحد في الكلام. والزمن الكلي: هو الصورة الزمنية الكلية للكلام: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ومن الدّراسات التي تناولت حديث الشفاعة خاصَّةً بالتحليل دراسة معنونةٌ بـ "دلائل الحجاج والإقناع في الخطاب النَّبوي الشريف (حديث الشفاعة نموذجا)"، وقد قامت بدراسة الأساليب الحجاجيَّة في الحديث الشَّريف، كالاستفهام، والتصوير القصصي، والتكرار، والتأكيد، والقسم، والتشبيه، وخرجت بنتائج عدَّة من أهمها التَّأكيد على أنَّ الأساليب الحجاجية تقوّي علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي وصولا إلى إقناعه واقتناعه.[1] ومن الجلي اختلاف ذي الدراسة عنها، فقد ارتأت ذي الدراسة تطبيق الزَّمنيَّة دلالة ووظيفة على حديث الشفاعة.

نصَّ الحديث الشَّريف:

- حدّثنا أبوكامل فُضيل بن حسين الجحدري، ومحمد بن عبيد الغُبريّ (واللفظ لأبي كامل)، قالا: حدثنا أبوعوانة عن قتادة، عن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول اللّه ﷺ: "يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يومَ القِيامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لذلكَ (وقالَ ابنُ عُبَيْدٍ: فيُلْهَمُونَ لذلكَ)، فيَقولونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنا علَى رَبِّنا حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا! قالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ، فيَقولونَ: أنْتَ آدَمُ أبو الخَلْقِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّكَ حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، (فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها)، ولَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، أوَّلَ رَسولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ، قالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، (فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها)، ولَكِنِ ائْتُوا إبْراهِيمَ ﷺ الذي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ ﷺ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، (ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها)، ولَكِنِ ائْتُوا مُوسَى ﷺ، الذي كَلَّمَهُ اللَّهُ وأَعْطاهُ التَّوْراةَ، قالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السَّلامُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها، ولَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ولَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا قدْ غُفِرَ له ما

1 ينظر: رشا عبدالرؤف الحبيشي، دلائل الحجاج والإقناع في الخطاب النَّبوي الشريف (حديث الشفاعة نموذجا)، مجلة الجامعة الإسلاميَّة للغة العربيَّة وآدابها، ع 4، ج2، 207- 254.

تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَيَأْتُونِي فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فإذا أنا رَأَيْتُهُ وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأحْمَدُ رَبِّي بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أعُودُ فأقَعُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقالُ: ارْفَعْ رأسك يا مُحَمَّدُ! قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأحْمَدُ رَبِّي بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، (قالَ: فلا أدْرِي في الثَّالِثَةِ أوْ في الرَّابِعَةِ قالَ): فأقُولُ: يا رَبِّ! ما بَقِيَ في النَّارِ إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرْآنُ، أيْ وجَبَ عليه الخُلُودُ". قالَ ابنُ عُبَيْدٍ في رِوايَتِهِ: قالَ قَتادَةُ: أيْ وجَبَ عليه الخُلُودُ.[1] وزاد البخاري في آخر الحديث: قال النبي ﷺ : "يخرج من النَّار مَن قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يُخرج من النار مَن قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة، ثم يخرج من النَّار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرَّة".[2]

الزَّمنيَّة في حديث الشَّفاعة:

- "يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَومَ القِيامَةِ":

استهلَّ الخطاب في الحديث النَّبويّ الشريف بمجاز عقلي "يَجمع الله الناس يوم القيامة"؛ إذ يجمعهم تعالى بقوته وقدرته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الواقعة: 49-50)، وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. (الكهف: 47). وقال ﷺ: "يُحشرُ

1محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب، وهشام البخاري، (د.ط)، (بيروت: المكتبة العصرية، 2003م)، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: (لما خلقتُ بيديّ)، (7410)، ص1315؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي، (د.ط)، (بيروت: المكتبة العصرية، 2003م)، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (193)، ص93-94.

2 البخاري، صحيح البخاري، المرجع السابق.

النَّاسُ يوم القيامة على أرضٍ بيضاء عفراء كقُرصة النَّقي". قال سهل أو غيره "ليس فيها مَعلم لأحد".[1]

يخبرُ الحديث الشريف عن صورٍ كائنة في المستقبلِ ارتكازًا على صيغ متنوعة من الفعل، تتمازج وتموج وتسير في تحقيق مقصد محدد مشكّلٍ للصورة الكليَّة، والمشهد الحواري للشفاعة العظمى. فبُدئت الصورة الزمنيَّة المستقبلية بزمن الآن "يجمع" الجامع في داخله حمولات دلاليَّة من المدة الزمنيَّة المتحركة في كل الاتجاهات[2]، وعطف عليه مماثل له في الزَّمن الآنيّ "فيهتمُّون"[3] أو "فيُلهمون"[4] و"فيقولون" بحرف الفاء المفيد صورة زمنية للترتيب والتعقيب والاتصال بين أحداث متباعدة زمنيًّا لا يُعلم حقيقة مقدار الزمن بين كل فعل منها والآخر؛ فاستُشعر بها طيَّ الزمن[5]، خاصَّةً والحديث عن يومٍ هو من الأمور الغيبيَّة. وقد انتقلت الصورة الزَّمنيَّة الجزئيَّة من الآنيَّة "يجمع" إلى الظَّرفيَّة الزمانيَّة المستقبليَّة "يوم القيامة" المرتبطة بنصٍّ غائب مسكوت عنه في هذه الجملة، ولكنَّه مصرَّح به في نصوص أخرى، بل وفي النص ذاته ضمنا بدالَّة "مكاننا" المشيرة إلى مكان حدوث المشهد والجمع، وهو أرض المحشر، تلك التي وُصفت بأنَّها أرض بيضاء عفراء ليس فيها

---

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، (6521)، ص1163؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، (2790)، ص 1048.

2 لِما في الجمع من دلالات الحشد، وجمع المتفرق، والإضافة وضم الأشياء بعضها إلى بعض: يُنظر: محمد بن منظور، لسان العرب، ط2، (بيروت: دار صادر، 1992م)، مادة (جمع)، مج8، ص53؛ يُنظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، مادة (ج م ع)، ج1، ص393.

3 الهمّ: الحزن، وهمّه الأمر همًّا فاهتمّ به، وأهمّني الأمر إذا أقلقك وحزنك، والاهتمام: الاغتمام: ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (همم)، مج12، ص619-620.

4 أي أن الله ﷻ يُلهمهم سؤال الشفاعة، والإلهام هو إلقاء الله تعالى في النفس أمرا يحمل على فعل شيء أو تركه: يُنظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 2002م)، ج2، ص16، تابع كتاب الإيمان، https://ketabonline.com/ar/books/29534/read?page=645&part=2#p-29534-645-1، شوهد في 1-6-2024م.

5 ينظر: محمد الأمين الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء، ثم"، ط1، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1993م)، ص 53-55.

معلم لأحد، ويُجمع عليها الأولون والآخرون حفاةً عراةً غُرْلا، وهم في هذا الموقف الزَّمني المهيب والمكاني، تدنو منهم الشمس فوق رؤوسهم مقدار ميل؛ فيتصبَّبُ منهم العرق، كلٌّ حسب ذنوبه.[1] ولا يُبرَّأُ منها إلَّا السَّبعة المستظلون بظل عرش الرَّحمن.[2]

فالنَّسق الزَّمنيّ المشاهَد للمستقبل الغيبيّ المتحدَّث عنه بالآنيّ، مرتبطٌ بالنَّسق المكانيّ المستقبليّ الغيبيّ، المستشرَف عليه الأحداث الغيبيَّة. وصورة الزمن الكلّي للصورة المجازيَّة الواردة في بداية الحديث محمولة على الدلالة في سياق الزمن الآتي الغيبيّ المسيطر على كامل النَّص، والمشير إلى حتمية وقوع كلّ ما ذُكر فيه، وهذه الدلالة تبث في الروح مشاعر الرهبة من ذلك اليوم، وتستدعي التَّيقّظ والانتباه للسير في هذه الدنيا، والعمل لذلك اليوم. وهذه الدلالة ربّما ما كانت لتكون لو كان الفعل بصيغة الزمن الآتي "سيجمع" لما في السين من بُعد زمنيّ وتسويف يتيح للإنسان بُعد الزمن، وطول الأمل، وإخراج النفس من إطار صورة الزَّمن الغيبي، لكن مع زمن الآن "يجمع" ذي الصورة الحركية المستمرة يضع الإنسان داخل صورة الحشر في غمرة ذلك اليوم العظيم المهيب، وكأنَّه يرى ويسمع ويشارك وينطق ويتحرك. فصورة الزمن الكلي حُملت على استمرارية التفاعل والجَلَد في ذلك اليوم.

---

1 عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " تُدْنَى الشَّمْسُ يَومَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حتَّى تَكُونَ منهمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ". قالَ سُلَيْمُ بنُ عامِرٍ: فَواللَّهِ! ما أدْرِي ما يَعْنِي بالمِيلِ؟ أ مَسافَةَ الأرْضِ، أمِ المِيلَ الذي تُكْتَحَلُ به العَيْنُ؟ قالَ: "فَيَكونُ النَّاسُ علَى قَدْرِ أعْمالِهِمْ في العَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى كَعْبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى حَقْوَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجامًا". قالَ: وأشارَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بيَدِهِ إلى فِيهِ: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهوالها، (2864)، ص1070.

2 عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ في خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إلى نَفْسِهَا، فقالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ يَمِينُه": البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب: فضل من ترك الفواحش، (6806)، ص1209؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، (1031)، ص361.

ورغم ما في حرف العطف "ثُمَّ" من دلالة زمنيَّة على الترتيب والتعقيب والتراخي إلَّا أنَّه ربَّما لم تحسُن هنا دلالة التَّراخي، والمهلة والهدوء؛ لتصوير رهبة ذلك الموقف؛ لذا كانت الفاء أبلغ. فالصُّورة الزَّمنيَّةُ الجُزئيَّة تنقلَّت بين الزَّمن الآنيّ فَالمستقبليّ الآتيّ فالآنيّ مرَّة أخرى؛ لتكوين صورة زمن كلّي محمول على التحقّق.

- "فيَقولونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنا علَى رَبِّنا حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا!":

"هذا" اسم إشارة أُريد به أمرين: معنى الظَّرفيَّة المكانيَّة، والتَّأكيد على المكان المراد تغييره؛ لمجيئه بعد دالَّة "مكاننا". والصُّورة الزَّمنيَّة الكليَّة في ذي الجملة المشَرَّكة في تَردادها بعدد البشريَّة جمعاء، والموشِية بالضَّغط النفسيّ الهائل والقلِق -وهول الموقف يتفاقم عليهم، والضِّيق الشَّديد بسبب المدَّة الزَّمنيَّة الطويلة التي يمكثونها وقوفًا وحالتهم تلك، والشمسُ على رؤوسهم- تأخذ فِكر المتلقّي من زمن المستقبل الغيبيّ الآتي إلى الحاضر، باستشراف جملة من صوَر الحوار المجسَّد أمامنا صوتًا وصورة بدءًا من "فيقولون" الزَّمن الآنيّ، فأداة الشَّرط "لو" الدَّالة على الماضي، ثم بدخولها على الصُّورة الزَّمنيَّة الفائتة في الفعل "استشفعنا" التي أحدثت ردَّة اهتزازٍ عكسي، وصدمة توتر في النَّقلةِ الزَّمنيَّة من مستقبلٍ كان يُتوقع أن تكون دالَّاته الزَّمنيَّة مستقبليَّة، فإذا بها انزاحت بالتفاتاتٍ زمنيَّةٍ آنيَّة، ففائتة منصرفة إلى الآتي، ثم التفاتة زمنيَّة أخرى نحو زمن الآن في "يُريحنا"؛ لِترسمَ بتمازجها صورةً زمنيَّةً مشهديَّةً كليَّة في الزَّمن الآتيّ. وربَّما لو دخلت "لو" على فعل مضارعٍ في زمن آنيّ يحكي الموقف متماثلا مع "فيقولون"، فكانت "لو نستشفع" ما كانت لتحمل دلالة التأكيد والوقوع المتحقق كما في الماضي المنصرف للآتي.

و"استشفعنا على ربّنا" بمعنى طلبنا الشَّفاعة من ربّنا، واستشفع فعلٌ يتعدّى بذاته أو بـ"إلى" أو "الباء"[1]، وتعدَّى هنا بحرف الجر "على" الدَّال على الاستعلاء[2]، والاستعلاء

1ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شفع)، مج8، ص184.

2 يُنظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ط3، (عمّان: دار الفكر، 2008م)، ج3، ص41.

هنا أتى مجازيًّا في التَّركيب، وحقيقيًّا في دلالته؛ لِعلوّ الذات الإلهيَّة. فالجملة مجازيَّةٌ تضمنت استعارة تصريحيَّةً تبعيَّة في الحرف "على"؛ إذ استُعير "على" لحرف الجرّ "الباء"؛ فشُبّه طلب الشفاعة من الله ﷻ مَنْ بيده أمرُ الخليقة معاشهم ومعادهم، بطلب الشَّفاعة على الله ﷻ أي علوًّا واستعلاء لعظيم قدرته سبحانه وتمكُّنه. والمقام هنا مقامٌ عصيب، وموقف الطلب تمَّ بتأدب وخشية وخضوع وهو ما يتناسب مع معنى حرف الجر "على"، بالإضافة إلى أن طلب الشفاعة في "استشفعنا" بصيغة "استفعل" فيها زيادة في الزمن؛ لزيادة الهمزة والسين والتاء التي تومئ باستمراريَّة طلب الشفاعة مرَّةً بعد أخرى، وبالجهد المبذول لذلك للوصول إلى المراد.[1]

"حتى يريحنا من مكاننا"؛ حملت "حتى" صورةً ذات دلالة زمنيَّة بلاغيَّة؛ إذ تضمنت معنى التعليل، أي: سنطلب الشفاعة لنرتاح من هول الموقف، وفي ذات الوقت احتوت على دلالةٍ بليغة في زمن النَّص الشريف، إذ إنَّ ترداد طلب الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام مرة تلو الأخرى يوحي بأنَّ "حتى" تضمنت معنى انتهاء الغاية[2] "إلى أنْ يريحنا". فكأنَّ تَكرار التَّكرار بمعنى: سنظلُّ نطلب الشَّفاعة مرَّة تلو الأخرى إلى أن نصل إلى مرادنا، ولو استغرق ذلك زمنا طويلا. ورُبَّما كان استخدام "حتى" أبلغ من "اللام التعليليَّة"؛ إذ المعنى المعجميّ لـ "حتى" من "الحتّ" وهو الاستئصال والإزالة والخلوص إلى نهاية الأمر[3]، وليس مجرد انتهاء الغاية فقط وإنَّما استئصال ما هم فيه وزواله عنهم.

1 معنى الطلب في صيغة "استفعل" يتضمَّن النزوع إلى الشيء، والحركة والدَّأب للوصول إلى الغاية: ينُظر: خلف عايد الجرادات، "توحيد المعنى الصرفي للصيغة الفعليّة المزيدة (استفعل)"، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية- الجامعة الأردنية، مج 43، ع2، 2016م، ص906.

2 يُنظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط2، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983م)، ص 542.

3 ابن منظور، لسان العرب، مادة (حتت)، مج2، ص22-24؛ ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج3، ص 31.

وَ"من" حرف جر، قيل إنَّها للابتداء عموما -وهو الغالب عليها- لا لابتداء الغاية.[1] أي: يريحنا ابتداء من مكاننا هذا (أرض المحشر) فما يتلوه، وربَّما كانت للغاية دون ابتداء[2].

ويظهر أنَّ معنى الغاية هنا أقوى؛ فغاية الإراحة هي من أرض المحشر، وهولُ الموقف الذي هم فيه والجهد، وطلبُ الإغاثة يجعلهم لا يفكرون إلَّا به، والنجاة منه ونسيان ما عداه. فالغاية صورة جزئيَّة ذات دلالة زمنيَّة مستقبلية.

وفي "مكاننا هذا"؛ اكتسب المكان دلالةً بلاغيَّة زمنيَّةً لمجاورته "مِن" الغائيَّة، وانصرافها للزمن الآتيّ بعد الزمن الآنيّ. ورجاء الخلوص من المكان يومئ بكونه غير مريح وغير محتمل، وبتكلّله بالصعوبات والأهوال، وتقييده مَنْ فيه من الانطلاق والحريَّة والنجاة.

➢ "قالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ، فيَقولونَ: أنْتَ آدَمُ أبو الخَلْقِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّكَ حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا":

وعودة مرة أخرى مع الفعل المضارع المكرور، والصُّورة الزَّمنيَّة البلاغيَّة الجزئيَّة في زمن الآن، وفي التعقيب والاتصال وطيّ الزَّمن المتمثل في "فيأتون"، ثم العطف عليه بمثيله "فيقولون". ولا تُعلم المدَّة الزَّمنيَّة النَّفسيَّة ما بين نيَّة الأوَّلين والآخرين في الاستشفاع، ثم سعيهم ووصولهم لآدم عليه السلام، ثم المدة حتى بدئهم بالقولِ الخبريّ "أنت آدم". فالصُّورة الزَّمنيَّة الكليَّة هنا بليغةٌ في امتدادها اللامحدود كلا محدوديَّة المستقبل الغيبي.

والجُمل الخبريّة المبتدأ بها حديث البشريَّة لآدم عليه السلام انصرفت إلى زمن الآن بطبيعة الحال؛ لاتصالها بدالَّة "فيقولون" الحادثة في الزَّمن الآتي، ثم حدثت انتقالةٌ زمنيَّة والتفاتٌ إلى زمن فائت في: خلقكَ، ونفخَ، وأمَر، فسجدوا؛ بتقنية "فلاش باك" أو الاستذكار واستحضار الصورة الذهنية والذاكرة الزمنية لكيفية خلق آدم عليه السلام بقدرة

1ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج3، ص 65، 67.

2 ينظر: المرجع السابق، ج3، ص 67.

الرحمن وعظمته، ثم النفخ فيه من روح الله، ثم قصة سجود الملائكة له عليه السلام، وما تخلّل ذلك من أحداث وعبر، فالتفاتٌ مفاجئ في صورة الدلالة الزمنية إلى الزمن الآتي المستقبلي في فعل الأمر "اشفعْ"، تليها الصُّورة الزَّمنيَّة الغائيَّة في "حتى" والزمن الآنيّ في "يريحنا". فسرعةُ الالتفاتاتِ الزمنيَّة وكثرتها -ما بين زمن الآن والفائت والآتي عودا إلى الآني المعلوم سلفا- وهول المطلع الذي تحياه البشرية وتمازجها جميعا في إطار الصورة الزمنيَّة النَّفسيَّة الكليَّة والمعجزة الآتية توحي بالاضطرابات النَّفسية والقلق والتوتر، وهذا يتواءم مع هول ذلك اليوم.

- "فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، (فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها)، ولَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، أوَّلَ رَسولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ":

بدأت الصورة الزمنيَّة الجزئية ترسم ملامحها بالزَّمن الآنيّ "فيقول" تعقيبًا على الطلب في الجملة السابقة، ثم انتقلت إلى الزَّمن الفائت في "لستُ" المتضمن خصوصيَّة زمنيَّة في ذاته، بتقييد نفي الفعل في الحال والاستقبال،[1] أي في الزَّمن الآنيّ والزمن الآتي؛ لنفي أن تكون الشفاعة ماضيًا وحاليًّا ومستقبلا لأحد غير النَّبي ﷺ. فصورة الزَّمن الكلّي حُملت على كلّ الزَّمن.

أمَّا ظرف المكان في "هُناكُم"، فهو مُركَّبٌ من "هُناك" الدَّال على المكان البعيد، والميم الزائدة؛ لزيادة في الدلالة، وإمعانًا في البُعد عن هذه المكانة والوصول إليها. وتعلُّق صورة المكان بسياق الزّمن المقيَّد في "لستُ" اعترافًا ببُعد الشفاعة العظمى ومنزلتها عن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في سائر الأزمنة. وربَّما كان النَّص المسكوت عنه هو المقام المحمود الموعود.[2]

---

1 ينظر: الحسن المرادي، الجنى الداني، ص499؛ ينظر: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م)، ص 8.

2ينظر هامش رقم (23)، ص10 من الدراسة.

وأمَّا في "فيذكر": فتعود الصُّورة الزمنيَّة البلاغيّة الجزئيَّة في حرف "الفاء" تعقيبًا واتصالًا وطيًّا لزمنِ الذِّكر الحاضرِ بزمنٍ آنيٍّ متَّسقٍ مع حضور المشهد الحواريّ في الذِّهن في تقنية (فلاش باك) واستحضار قصتِه التي رآها (خطيئة)، وانتقالا إلى زمنٍ فائتٍ موغلٍ في القِدم في "أصاب"، ففاء تعقيبيَّة زمنيَّة ملازمة لصورة زمنية آنيَّة نفسيَّة شعوريَّة، لا يُعلم كنهها ولا أمدها "فيستحيي". ثم الواو العاطفة التي حملت دلالة الزمن الآتي على عاتقها المستدرك في "ولكن ائتوا" الصَّادحة بأملٍ في المستقبل القريب، فالتفاتةٌ لصورة زمنيَّة جزئية فائتة في "بعثه".

فالتَّنقُّلات عبر صور زمنيَّة جزئيَّة في هذا المقطع وفي الموقف ذاته التفتت من:

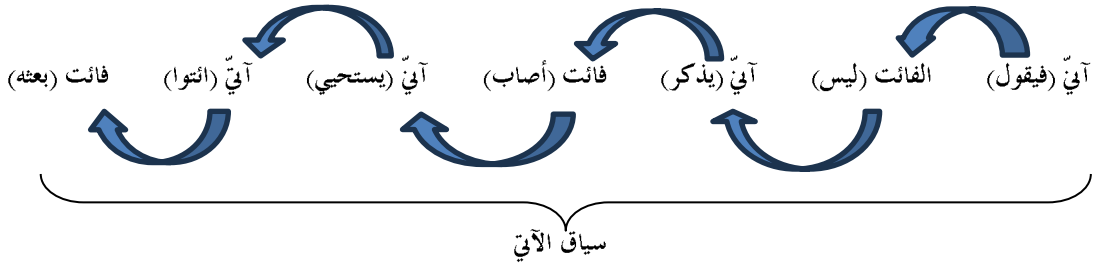

محمولة على صورة زمنية كليَّة في مشهد غيبيّ آتي

إنَّ كثرة الالتفاتات الزَّمنيَّة في فقرة واحدة كهذه مثلًا، تشي بحركة هرِعة تموجيَّة للبشريَّة جمعاء، وكأنَّها مشاهد بصريَّة توحي بصورة النُّفوس الفزِعة والقلوب الضَّاجَّة، حتى لكأنَّ المتلقي يسمع أصواتا تموج ارتفاعا وانخفاضا وصخبًا من هول ذاك المطلع. وربَّما لو كان الحوار بصيغة الفعل الماضي فقط لما انجاب ذاك الضجيج، ولما كانت تلك التموجات السَّريعة، ولأصبح النَّص على وتيرةٍ واحدة في السَّرد. والشيء ذاته لو كانت الأساليب مقتصرة على الزَّمن المستقبليّ الآتي رُبَّما لن يكون وقع تأثيره في القلوب كمثله الآن، حتى وإن بدت المشاهد حاضرة.

أمَّا الفعل "فيأتون" ففي كلّ مرة يتكرر فيها تتكرر معه حمولته الدلاليَّة بوقتٍ غير معروف من الزمن الجزئيّ، ومكانٍ غير معلوم الوجهة، وزمنِ استغراق بين كل فعل وآخر غير محدد. كما أنَّ مجيئَها بهذه الصيغة يجعلها كائنة أمام الأعين في زمن آنيّ مختلف عن "فسيقولون" أو "فسوف يقولون".

ثم يسترسل نصُّ الحديث في السَّرد بعبارات تشبه في تراكيبها والتفاتاتها الزَّمنيَّة ما قد سبق من أمثلة: "قالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، (فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها)، ولَكِنِ ائْتُوا إبْراهِيمَ ﷺ الذي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ ﷺ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، (ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها)، ولَكِنِ ائْتُوا مُوسَى ﷺ، الذي كَلَّمَهُ اللَّهُ وأَعْطاهُ التَّوْراةَ، قالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السَّلامُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها، ولَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ولَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ". فالصُّور الزَّمنية البلاغيَّة الجزئيَّة مكتظَّة بالتحولات الدلاليَّة والامتدادات الزَّمنيَّة والمكانيَّة المتَّكئة على الالتفاتات الزمنية المتعددة.

- "قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَيَأْتُونِي فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فإذا أنا رَأَيْتُهُ وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ":

بُدئت هذه الصورة الجزئية الزمنية بترتيب زمنيّ تعقيبي لتسلسل الأحداث غير معلوم مقداره في "الفاء العاطفة"، تعقبه دلالة زمنيَّة آنيَّة "يأتوني"، فتعقيب زمنيّ اتصالي آخر غير محدد زمن الاستغراق فيه "فأستأذنُ"، ومردف بصورة زمنية آنيَّة أخرى "فيُؤذن"، ورُبَّما كانت المدة الزمنية هنا أقصر من سابقتها كما دلَّ على ذلك السّياق، وردة الفعل أكثر استباقًا وسرعةً مما سبقها، فكما يلاحظ عند إتيان طلب الشفاعة من الأنبياء -عليهم السلام- في هذا الحديث الشَّريف، كان ردُّهم: "لستُ هُناكم"، مثل: "فيأتون نوحا ﷺ،

فيقول: لستُ هُناكم". فمفردة "فيأتون" تلازمها تعقيبا؛ فيقول: لست هناكم، مع ذكر الخطيئة والاسترسال في القصص والحديث. أمَّا عندما طلب ذلك من خاتم الأنبياء ﷺ: "فيأتوني" كانت ردة الفعل سرعة استجابته ﷺ دون تردد أو اعتذار أو ذكر قصص وأحداث، وإنَّما "فأستأذنُ" إنقاذًا للبشريَّة من هول الموقف، وكان حقًّا لها ولم تكن إلَّا له منذ البدء، وهذا موافقٌ لرواية أخرى[1] في ردة فعله ﷺ "أنا لها" مناقضة لردة فعل الأنبياء -عليهم السلام-"لستُ لها"، ومتوافقة مع ما ذُكر بأنَّه صاحب المقام المحمود[2]، وإنَّما أُخّر في وفود البشريَّة إليه تعزيزًا لمكانته ﷺ وترسيخًا لها، وبيان قدره وفضله[3]، بالإضافة إلى توافقه مع العبارة الواصفة قبله "عبدًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر"، وتوالي ثلاثة أفعال زمنيَّة سريعة آنيَّة: فيأتوني- فأستأذن- فيؤذن، فأُذن له ﷺ. ولا يخفى ما للفاءات العاطفة من دلالات بلاغيَّة زمنيَّة في تعقيب الأحداث واتصالها.

وفي قوله ﷺ: "فإذا أنا رأيته وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله"، تضمَّنت "إذا" الشَّرطيَّة الزَّمنيَّة معنى الاستقبال، وتقييد حصول الجزاء بحصول الشرط، واستُخدمت في الشرط المتأكد من وقوعه.[4] فالأمر النافذ المحقّق الوقوع هو رؤية النَّبي ﷺ للحق ﷻ مستقبلًا، ودلَّ على ذلك دخول أداة الشرط "إذا"، ومن ثم تحقق السّجود منه ﷺ في ذاك الزَّمن المعبَّر عنه في النَّص بزمن فائت "رأيته، وقعتُ"، و"إذا" الصَّارفة الزَّمن الماضي

---

1 ينظر: مسلم، صحيح مسلم، (193)، ص95.

2 عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودا﴾. (الإسراء:79) سُئل عنها، قال هي الشفاعة. قال أبوعيسى: هذا حديث حسن: أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ط1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب تفسير القرآن، باب 18: ومن سورة بني إسرائيل بسم الله الرحمن الرحيم، (3137)، ص833.

3 ينظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج2، ص16، تابع كتاب الإيمان، شوهد في https://ketabonline.com/ar/books/29534/read?page=645&part=2#p-29534-645-1. 1-6-2024م.

4 يُنظر: أبويعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، ص240- 241.

للاستقبال[1]؛ فيكون وقوعه مؤكَّدًا لا شك فيه، ليس ذاك فحسب وإنَّما متجددًا ومستمرًّا ومستطيلا في زمنيَّته؛ لاستخدام اسم الفاعل "ساجدا". فلم تكن العبارة: "فإذا أنا رأيته سجدت" لتأكيد تحقُّق الرُّؤية والسُّجود فقط وإنَّما كانت على صيغتها تلك لإفادة معنى الاستمرارية في السجود في المستقبل وشكر الله ﷻ، والخضوع له مدّة مشيئة الله تعالى (زمن ممتد غير محدد) وأتى بهيئة الفعل الفائت المتحدث عن المستقبل الآتي دلالة على تأكيد وقوعه.

"فيدعني ما شاء الله": من اللافت للنظر إظهار اسم الجلالة في قوله "ما شاء الله" إذ كان من الممكن أن يكون (فيدعني ما شاء)، أو (فيدعني ما شاء له)، ولكنْ إظهار لفظ الجلالة -والله أعلم- تكرارٌ للضمير المستتر في "فيدعني"، وارتباط زمنيَّة الفعل وامتداده بمشيئته تعالى؛ فأكسب الدّلالة هنا قوة جليَّة وامتدادًا في الزمن وارتباطًا يقينيًّا بالله.

- "فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي":

من الجليِّ حضور صور الالتفات الزمنيَّة هنا من الزَّمن الآني والفائت في العبارة السابقة إلى الحاضر والآني في الأسلوب الإنشائي، الندائيّ "يا محمد" ثم في الزمن الآتي في الأساليب الإنشائيَّة في الأفعال المتوالية: ارفعْ- قُلْ- سَلْ- اشفعْ، والتي أعقبها في عجلة من الزمن والاستجابة جواب الطلب: "تُسمع- تُعطَهْ- تُشفَّع"؛ لتحقق الإجابة فورا. فليس هناك فاصلٌ زمنيٌّ بين الطلب وجوابه، بين أمرِه ﷻ وإجابته تعالى لسيد الخلق ﷺ، فعدم وجود فاصل كحرف الاستقبال مثلا في الأفعال الطلبية الواردة بصورة زمنية آتية، وجوابها الشافي في: قلْ سوف يسمع لقولك، سلْ وسوف تعطه، دلَّ على سرعة الاستجابة بوروده بصورة زمنيَّة آنيَّة، وكأنَّها تحدث أمام الأعين.

1 يُنظر: عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط2، (بنغازي: جامعة قاريونس، 1996م)، مج 3، ص 185.

- "فأحْمَدُ رَبِّي بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ":

"فأحمدُ ربّي بتحميد يُعلّمنيه ربّي": حوت "الفاء" دلالة تعقيبيَّة زمنيَّة مُردَفة بما ألهم الله تعالى به نبيّه ﷺ من المحامد، وممتدّة امتداد الزَّمن في المصدر "تحميد"، وتكرار مفردة "ربّي" اعترافًا بالمنَّة والفضل. والفترة الزمنية بين تحديد مَن سيخرج من النار بفضل الله ﷻ ثم بشفاعة النبي ﷺ وبين إخراجهم فعلا غير معلومة، وتجسَّدت في الفاء في "فأخرجهم"، فضلا عن المجاز العقلي ذي العلاقة السَّببيَّة المقترن بالصورة الزمنية الآنيَّة -الحادثة مستقبلا- في الإخراج والإدخال، والصورة المكانيَّة في "النَّار، والجنَّة"؛ إذْ هما من الأمور الغيبيَّة، فالنبي ﷺ هو الباعث على إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة بشفاعته ﷺ. فصورة الزَّمن الكليَّة للصورة المجازيَّة العقليَّة محمولة على الدلالة في سياق الزمن الآنيّ المنصرف للمستقبل الغيبي.

واقتضت "ثُمّ" في "ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا" صورةً زمنيَّةً جزئيّة دالَّة على التعقيب مع مهلة إيحاءً بطول الفترة الزمنيَّة للشفاعة التي تقتضي أحداثًا جمَّة منها تحديد معيار مَن سيخرج من النار في الشفاعة للمرة الثانية، ثم الذهاب لإخراجهم حتى آخرهم، ثم العودة مرة أخرى للحمد والشفاعة، وهكذا في المرة الثالثة، والرابعة.

- "يا ربِّ! ما بَقِيَ في النَّارِ إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرْآنُ":

الصُّورة الزمنية الجزئيَّة تجلت في زمن آنيّ "يا" إلى زمن فائت (بقي) منصرف إلى زمن آتٍ "سيبقى"، بدلالة سياق الحديث عن صورة مستقبلية، بالإضافة إلى مفردة المكان الآتي "النار"، والعودة إلى زمن فائت أزلي "حبسه" ووجب فيه الحكم وقُضي في، ليستمر ذلك الحكم في صورة الزَّمن الآتي الكلي للجملة.

- "ثم أعودُ فأقَعُ ساجِدًا" تجسَّدت هنا صورةٌ جزئيَّة بلاغيَّة في المهلة، والتكرار، وطول الزمن في "ثُمَّ" توحي برحمة النَّبيّ ﷺ وحنانه وشفقتِه بأُمَّته.

وبعد استعراض الصُّور الزمنية البلاغية في الحديث الشريف ودراستها في السياق تبيَّن أنَّ الخطاب النبوي يضجُّ بالحركة والتنقلات الزمنية في البنية اللغوية الناتجة عن تنقلات الذهن الحركية، عاكسة الصورة النَّفسيَّة للمتلقي وحالة الاضطراب والموجان والقلق النفسي والتوتر وشدة الخوف من المصير في ذلك اليوم الموعود.

الخاتمـــة:

تبنَّت الدراسة تطبيق فكرة "الزَمنيَّة" كعلمٍ بلاغيّ في الحديث النَّبوي الشريف (الشَّفاعة العظمى)، دلالةً ووظيفة، وبيان تأثير السياق في بنية الخطاب على المتلقي، وخرجت بنتائج عدّة منها:

- يُظهر تطبيق فكرة "الزَّمنيَّة" الحمولات الدلاليَّة المستبطنة في أعماق الخطاب النَّبوي، في الصيغ المتنوعة لأفعاله وحروفه وأسمائه وامتداداتها المستنتجة من السّياق الكلّي.
- تتأثر الصُّور الزَّمنيَّة البلاغية الجزئية لأزمنة الفعل بالسّياقات الواردة فيها، وتمنح الظروف المكانيَّة ظلالا دلاليَّة من آفاقها الرَّحبة.
- تنتُج الصورة الزمنية الكليَّة من دَوْف صيغ الأفعال بدلالاتها في البنية السّياقية، وحروف العطف، والأدوات الأخرى والفكرة الكليَّة للنص.
- تطبيق "الزَّمنيَّة" أضفى على الخطاب تحوّلاتٍ زمنيَّة عديدة مصحوبة بالتفاتات دلاليَّة جمَّة، ومشيرة إلى دلالات أكثر عمقا من معنى المعنى، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وكأنَّها تكنّي عن دلالة شموليَّة غؤوريَّة للنَّص.
- كثرة التَّنقُّلات الزَّمنيَّة في الحديث الشريف المتحدّث عن خطاب مستقبليّ وضعت المتلقي أمام مشاهد حيَّة متحققة الوقوع صوتًا وصورة وتموّجًا واضطرابا.

- من الملحوظ أنَّ استخدام الزَّمن الآنيّ لو تغير واستبدل بالزمن الآتيّ لما أحدث الأثر ذاته، ولَبَعُدَ زمن التَّرهيب، وزمن الحشر، وطال الأمل في الحياة، وما كانت الصور حيَّة مشاهدة والنفس في خضمّ معتركها.
- إدراك الالتفاتات الزمنية في الحديث الشريف إدراكًا ذهنيًّا ضمنيًّا وليس وجوديًّا على أرض الواقع في الزمن الآني.
- على الرغم من هيمنة التَّرهيب على الحديث الشَّريف إلا أنَّه من جانب آخر قصد إلى الترغيب في الصالحات من الأعمال، وفي كثرة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، واتباع سنّته، مع بيان فضله ومقامه ومقداره العظيم الذي علا فيه على كل قدر.

المراجع

- البخاري، محمد بن إسماعيل. (2003م). صحيح البخاري. مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب، وهشام البخاري. بيروت: المكتبة العصرية. (د.ط).
- الجرادات، خلف عايد. (2016م). مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية. "توحيد المعنى الصرفي للصيغة الفعليّة المزيدة (استفعل)". الجامعة الأردنية. مج 43، ع2.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. (1996م). شرح الرضي على الكافية. تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر. بنغازي: جامعة قاريونس. ط2.
- الحبيشي، رشا عبدالرؤف. (د.ت). مجلة الجامعة الإسلاميَّة للغة العربيَّة وآدابها. "دلائل الحجاج والإقناع في الخطاب النَّبوي الشريف (حديث الشفاعة نموذجا)". (د.م). (د.ن). ع 4. ج2. (د.ط).
- الخضري، محمد الأمين. (1993م). من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء، ثم". القاهرة: مكتبة وهبة. ط1.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (1984م). حروف المعاني والصفات. تحقيق: علي توفيق الحمد. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1.
- السامرائي، فاضل صالح. (2008م). معاني النحو. عمّان: دار الفكر. ط3.
- السكاكي، أبويعقوب يوسف. (1987م). مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية. ط2.
- بن سورة، أبوعيسى محمد بن عيسى. (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط1.
- الصبيح، سراب صالح:

- (1444هـ). دلالات النَّسق الزَّمني في البلاغة (الزَّمنية) " ذاتية المتنبي أنموذجا". جدة: دار مستقبل الكتاب للنشر والتوزيع. (د.ط).

- (2023م). الجزيرة. "(الزمنية) جنس بلاغي جديد.. دعوة إلى تدشينه في الجامعات". https://www.al-jazirah.com/2023/20230106/cm21.htm.

- عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة. بيروت: عالم الكتب. ط1.

- لاشين، موسى شاهين. (2002م). فتح المنعم شرح صحيح مسلم. القاهرة: دار الشروق. ط1.
https://ketabonline.com/ar/books/29534/read?page=645&part=2#p-29534-645-1.

- المرادي، الحسن بن قاسم. (1983م). الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ط2.

- ابن منظور، محمد. (1992م). لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط2.

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (2003م). صحيح مسلم (الجامع الصحيح). اعتنى به وراجعه: هيثم الطعيمي. بيروت: المكتبة العصرية. (د.ط).

al-Marāji‘ :

- al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl. (2003m). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. murāja‘at wa-ḍabaṭa wa-fahrasat : Muḥammad ‘Alī al-Quṭb, wa-Hishām al-Bukhārī. Bayrūt : al-Maktabah al-‘Aṣrīyah. (D. Ṭ).

- al-Jarādāt, Khalaf ‘Āyid. (2016m). Majallat Dirāsāt lil-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah. "Tawḥīd al-ma‘ná al-ṣarfī llṣyghh alf‘lyyh al-mazīdah (astf‘l)". al-Jāmi‘ah al-Urdunīyah. Majj 43, ‘2.

- Ibn al-Ḥājib, ‘Uthmān ibn ‘Umar. (1996m). sharḥ al-Raḍī ‘alá al-Kāfiyah. taṣḥīḥ wa-ta‘līq : Yūsuf Ḥasan ‘Umar. Banghāzī : Jāmi‘at Qāryūnis. ṭ2.
- al-Ḥubayshī, Rashā ‘bdālr’f. (D. t). Majallat al-Jāmi‘ah al’slāmyyah lil-lughah al‘rbyyah wa-ādābihā. "Dalā’il al-Ḥajjāj wa-al-iqnā‘ fī al-khiṭāb alnnabwy al-Sharīf (Ḥadīth al-Shafā‘ah namūdhajan)". (D. M). (D. N). ‘A 4. j2. (D. Ṭ).
- al-Khuḍarī, Muḥammad al-Amīn. (1993M). min Asrār ḥurūf al-‘aṭf fī al-dhikr al-Ḥakīm "al-Fā’, thumma". al-Qāhirah : Maktabat Wahbah. Ṭ1.
- al-Zajjājī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Isḥāq. (1984m). ḥurūf al-ma‘ānī wa-al-ṣifāt. taḥqīq : ‘Alī Tawfīq al-Ḥamad. Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah. Ṭ1.
- al-Sāmarrā’ī, Fāḍil Ṣāliḥ. (2008M). ma‘ānī al-naḥw. ‘Ammān : Dār al-Fikr. ṭ3.
- al-Sakkākī, abwy‘qwb Yūsuf. (1987m). Miftāḥ al-‘Ulūm. ḍabaṭahu wa-kataba hawāmishahu w‘llq ‘alayhi : Na‘īm Zarzūr. Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. ṭ2.
- ibn Sūrat, abw‘ysá Muḥammad ibn ‘Īsá. (D. t). al-Jāmi‘ al-ṣaḥīḥ Sunan al-Tirmidhī. Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī. Ṭ1.
- alṣbyḥ, Sarāb Ṣāliḥ :
- (1444h). dalālāt alnnasq alzzamny fī al-balāghah (alzzamnyh) "dhātīyah al-Mutanabbī anmūdhajan". Jiddah : Dār Mustaqbal al-Kitāb lil-Nashr wa-al-Tawzī‘. (D. Ṭ).
- (2023m). al-Jazīrah. "(al-zamanīyah) jins Balāghī jadīd .. Da‘wat ilá tdshynh fī al-jāmi‘āt". https : / / www. al-jazirah. com / 2023/20230106 / cm21. htm.
- ‘Umar, Aḥmad Mukhtār ‘Abd al-Ḥamīd. (2008m). Mu‘jam al-lughah al-‘Arabīyah al-mu‘āṣirah. Bayrūt : ‘Ālam al-Kutub. Ṭ1.

- Lāshīn, Mūsá Shāhīn. (2002M). Fatḥ al-Munʿim sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim. al-Qāhirah : Dār al-Shurūq. Ṭ1. https : / / ketabonline. com / ar / books / 29534 / read? page=645 & part=2 # p-29534-645-1.
- al-Murādī, al-Ḥasan ibn Qāsim. (1983m). al-Janá al-Dānī fī ḥurūf al-maʿānī. taḥqīq : Fakhr al-Dīn Qabāwah, wa-Muḥammad Nadīm Fāḍil. Bayrūt : Dār al-Āfāq al-Jadīdah. ṭ2.
- Ibn manẓūr, Muḥammad. (1992m). Lisān al-ʿArab. Bayrūt : Dār Ṣādir. ṭ2
- al-Nīsābūrī, Muslim ibn al-Ḥajjāj. (2003m). Ṣaḥīḥ Muslim (al-Jāmiʿ al-ṣaḥīḥ). iʿtaná bi-hi wa-rājaʿahu : Haytham alṭʿymy. Bayrūt : al-Maktabah al-ʿAṣrīyah. (D. Ṭ).